كوفيد 19
الجائحة وظلالها

{تنويعات إبداعية، بأقلام عربية}

إعداد وتحرير

عبدالله محمد السبب

مراجعة وتدقيق

جمـــــيل داري

هل كورونا وباء أم طاعون؟

بقلم/ د. عبد الحكيم الزبيدي - الإمارات*

منذ بدأ مرض كورونا أو (COVID-19) كما هو الاسم العلمي له في الانتشار، ومع اتخاذ الحكومات للتدابير الإجرائية للحدّ من انتشاره بالدعوة إلى التباعد الاجتماعي وعدم الاختلاط، بدأت تنتشر على ألسنة كثير من الناس الأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدّث عن الطاعون وأنّ من مات به يكون شهيداً، وتحثّ على عدم الخروج من البلد الذي هو فيه أو الدخول إليه. وقد أثار ذلك عندي تساؤلاً مداره: هل كورونا طاعون أم وباء؟ خاصّة بعد أن انتشر على الألسن أنّ الطاعون لا يدخل المدينة ومكة، ولكن المشاهد أنّ كورونا قد انتشر في كلّ من المدينة ومكة بشكل كبير. لكلّ هذا رجعت إلى بعض كتب التراث التي تناولت الطاعون بشكل موسّع، لأتعرّف على وصف الطاعون، لمعرفة ما إذا كانت تلك الأوصاف تنطبق على كورونا أم لا.

وقد وجدت بغيتي في كتاب نفيس، لعلّه من أوسع وأشمل ما كتب عن الطاعون في القديم، وهو كتاب (بذل الماعون في فضل الطاعون) تصنيف الحافظ ابن حجر العسقلاني (773-852هـ)*.

وقد جعله المؤلّف في خمسة أبواب: الباب الأول: في مبدأه، والثاني: في التعريف به، والثالث: في بيان كونه شهادة، والرابع: في حكم الخروج من البلد الذي يقع فيه والدخول إليها، الخامس فيما يشرع فعله بعد وقوعه.

ولن نستعرض أبواب الكتاب كلّها، فذلك ليس غرضنا هنا، ولكنّا سنقف عند تعريف الطاعون والتفريق بينه وبين الوباء، وبعض الآثار التي وردت فيه. يعرّف الحافظ ابن حجر رحمه الله الطاعون نقلاً عن الشيخ محيي الدين النووي بقوله: "الطاعون مرض معروف، وهو بُثَر وورم

---

* شاعر وباحث.

* العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق: أحمد عصام عبدالقادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، د.ت.

مؤلم جدّاً يخرج مع لهيب ويسودّ ما حواليه أو يخضرّ أو يحمرّ حمرة بنفسجية كدرة، ويحصل معه خفقان القلب والقيء ويخرج في المراق والآباط غالباً، وفي الأيدي والأصابع وسائر الجسد."*

وبعد أن يذكر عدّة أقوال في تعريف الطاعون، يلخصّها بقوله:

"فحاصل ما اجتمع لنا من كلام من تقدم كلامه أنّ الطاعون أنواع:

أشهرها ما يخرج من البدن من الورم خصوصاً المغابن وأنّه يقع في اليد والإصبع وجميع الأعضاء لكنّه نادر بالنسبة إلى ما يقع في المغابن.

الثاني: يقع في أيّ عضو كان من البدن أيضاً مثل القرحة والبثرة لكن الاختصاص له بالمغابن دون غيرها.

الثالث: ما يطفئ الرّوح كالذّبحة، وليست الذّبحة نفسها طاعوناً وإنما في أنواع الطاعون ما يضاهيها، ولذلك يختلف حال من وقعت به في زمن الطاعون وفي غير زمنه.

الرابع: ما يقع في عضو ما فيتآكل منه كالجذام."*

ويفرق ابن حجر بين الطاعون والوباء بقوله نقلاً عن القاضي عياض: "أصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد، والوباء عموم الأمراض، فسميت طاعوناً لشبهها بالهلاك بذلك، وإلّا فكلّ طاعون وباء وليس كلّ وباء طاعونا."* ثمّ يقول نقلاً عن ابن سيناء: "والطواعين تكثر عند الوباء وفي البلاد الوبيئة ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس. قال: وأما الوباء فهو فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده."*

ويلخّص ذلك بقوله: "وقد ظهر بما أوردته أنّ الطاعون أخصّ من الوباء، وأنّ الأخبار الواردة في تسمية الطاعون وباء لا يلزم منه أن كلّ وباء طاعون، بل يدلّ على عكسه، وهو أنّ كلّ طاعون وباء، لكن لما كان الوباء ينشأ عنه كثرة الموت، وكان الطاعون أيضا كذلك أطلق عليه اسمه."*

ويستدل ابن حجر على أنّ الطاعون غير الوباء بما صحّ من الحديث أنّ الطاعون لا يدخل المدينة، وثبوت أنّ الأوبئة دخلتها. يقول ابن حجر: "ثبت في الصحيحين والموطأ من حديث

---

* المرجع السابق، ص 97، بُثَر: جمع بَثَرة بفتح الباء والثاء وقد تُسكّن الثاء وهو كالدُمل الصغير.

* المرجع السابق، ص 99-100، الذّبحة: بفتح الذال وقد تُسكن الباء: وجع يعرض في الحلق من الدم أو قرحة تظهر فيه من داخل فينسد معها وقد ينقطع معه النفس، والمغابن: جمع مَغبِن: هي بواطن الأفخاذ والآباط وشبهها.

* المرجع السابق، ص 97.

* المرجع السابق، ص 99.

* المرجع السابق، ص 104.

أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدّجال)، وقد أخرج البخاري ومسلم في كتاب الحج من طريق أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله تعالى)."*

ويشرح معنى قول عائشة: "وقولها أوبأ أفعل تفضيل من الوباء وهو يُمد ويُقصر. قال أهل اللغة: هو المرض العام، يقال أوبأت الأرضُ فهي موبِئة ووَبِئت فهي وَبية ووُبِئت فهي موبوءة. وأرادت عائشة رضي الله عنها بالوباء كثرة ما كان بها من الحمى."*

ويضيف ابن حجر: "وقد وقع فيها (أي المدينة) الوباء بالموت الكثير في زمن عمر رضي الله عنه، ففي صحيح البخاري من طريق أبي الأسود الدؤلي قال: (أتيت المدينة وقد وقع بها مرض والناس يموتون موتاً ذريعاً، فجلست إلى عمر ..) فذكر حديثاً."*

إذن، فليس كلّ وباء طاعوناً ولكن كلّ طاعون وباء، وتكثر الطواعين عند الوباء، والوباء ناتج عن فساد الهواء. والسؤال الآن هو: هل كورونا وباء أم طاعون؟

يعرّف موقع وزارة الصحة في الإمارات مرض كورونا بأنه: "فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) من سلالة كورونا والتي تسبّب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي التي تتراوح حدّتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشدّ وخامة، تمّ التعرف عليه لأول مرة عبر عدد من المصابين بأعراض الالتهاب الرئوي في مدينة ووهان بمقاطعة هوبي."* ويذكر الموقع أعراض مرض كورونا وهي: الحمّى، والإرهاق، والسعال الجافّ. وبذلك يتّضح أنّ تعريف كورونا وأعراضه تختلف عن تعريف وأعراض الطاعون.

وبالنظر إلى سرعة انتشار كورونا وانتقاله بالعدوى فيمكن أن نطلق عليه لفظ (وباء). جاء في موقع (الإسلام سؤال وجواب) الذي يشرف عليه الشيخ محمد صالح المنجّد: "أنّ هناك أوبئة وأمراضاً يحصل بها كثرة الموت، فتسمّى طاعوناً مجازاً، لكن ليست هي الطاعون المنصوص على أنّه شهادة لمن مات به، لكنها تُلحق بالطاعون في الحجر على أهلها، وفي القدوم عليهم،

* المرجع السابق، ص 102.
* المرجع السابق، ص 103.
* المرجع السابق، ص 104، والذّريع: الكثير السريع.
* https://www.mohap.gov.ae/ar/AwarenessCenter/Pages/COVID-19.aspx

بجامع العلة."* ويخلص المشرف على الموقع إلى الفتيا بأنّ مرض "كورونا" ليس هو الطاعون الوارد في السنة والموعود أهله بأجر الشهادة.

ولعلّ من تمام الفائدة أن نذكر ما قاله ابن حجر عن دخول الطاعون إلى مكة المكرمة، حيث يقول: "نعم شاركتها (أي شاركت المدينة) في ذلك مكة المكرمة فلم يدخلها الطاعون فيما مضى من الزمان كما جزم به ابن قتيبة في المعارف ونقله جماعة من العلماء عنه وأقروه إلى زمن الشيخ محي الدين رحمه الله، ذكر ذلك في كتاب الأذكار وغيره. لكن قيل إنّه دخلها بعد ذلك في الطاعون العام الذي وقع في سنة تسع وأربعين وسبع مائة وبعد ذلك."*

ونختم ببعض ما ورد في وصف الطاعون من أشعار ومقامات. فمن طريف ما ورد في بعض المقامات في وصفه*: "غير أنّ له (أي الطاعون) خلائقَ محمودة، وغرائبَ ليست في سواه موجودة: لا يفرّق بين الشخص وأقاربه، ولا يؤرّق جفن المفجوع على ذاهبه. بل إن أخذ واحداً آنسه بجميع أهله، وجمع شملهم في الردى بإهدام ذلك النسب من أصله. لا تطول معه الأمراض، ولا تكثر على الجسد الأعراض".

ومن الأشعار التي قيلت في الطاعون، قول أحدهم*:

سألت بارئ النّسمْ
في دفع طاعون صدمْ
فمن أحسّ بلع دمْ
فقد أحسّ بالعدمْ

وقول الآخر:

الله أكبر من وباء قد سبا

* https://islamqa.info/ar/answers/333763/هل-مرض-كورونا-من-الطاعون

* المرجع السابق، ص 208.
* المرجع السابق، ص 383.
* المرجع السابق، ص 375.

ويصول في العقلاء كالمجنونِ
سُنّت أسنّتُه لكلّ مدينة
فعجبت للمكروه في المسنونِ

ويقول آخر واصفاً حال الناس أيام الطاعون*:

فهذا يوصّي بأولاده	وهذا يودّع إخوانه
وهذا يهيّئ أشغاله	وهذا يجهّز أكفانه
وهذا يصالح أعداءه	وهذا يلاطف جيرانه
وهذا يوسّع إنفاقه	وهذا يحالل من خانه
وهذا يحبّس أملاكه	وهذا يحرّر غلمانه
وهذا يغيّر أخلاقه	وهذا يعيّر ميزانه

وختاماً هاكم هذه الطرفة التي أوردها ابن حجر عن الطاعون: "نقل بعض المؤرّخين أنّ الطواعين في زمن بني أمية كانت لا تنقطع بالشام ثمّ خفّ ذلك في الدولة العباسية، فيقال إنّ بعض أمرائهم بالشام خطب فقال: احمدوا الله الذي رفع عنكم الطاعون منذ وُلينا عليكم، فقام بعض من له جرأة فقال: الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون"*.

نسأل الله تعالى أن يرفع الوباء والبلاء
عن بلادنا وعن سائر بلدان العالم أجمعين.

* المرجع السابق، ص 378.

* المرجع السابق، ص 364.